147570 - تفسير قوله تعالى : (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا)

السؤال

أريد تفسير هذه الآية ، لأنني قد صادفت بعض الماكرين من اليهود الذين يحاولون أن يضللوا الناس بشأن تفسيرها . الآية هي : قال تعالى : (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) وقد نقل لي بعضهم أن القرطبي قال في تفسيره : " (الآخرة) أي : يوم القيامة . (جئنا بكم لفيفا) أي : أخرجناكم من قبوركم ، وجمعنا المؤمنين وغير المؤمنين في مكان واحد " فهل هذا التفسير صحيح ، وهل يُنسب إلى الإمام القرطبي ؟

الإجابة المفصلة

الآيات المقصودة في السؤال هي الآيات الآتية من سورة الإسراء ، حيث يقول الله عز وجل : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا . قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا . فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا . وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) الإسراء/101-104.

وقد ناسب ذكر هذا المقطع من قصة موسى وبني إسرائيل سياق سورة الإسراء كاملة ، حيث بدأت بالحديث عن بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض ، ثم أعاد الحديث هنا عن واحد من مواقف التكذيب التي وقفها بعض بني إسرائيل ، رغم إرسال تسع معجزات ظاهرات باهرات ، ورغم الآية العظيمة التي رأوها عيانا حين انفلق البحر فلقتين .

فجاءت هذه الآيات في سياق الامتنان على بني إسرائيل بالتمكين في الأرض ، وتذكيرهم بنجاتهم من فرعون وعمله ، ووعظهم بأن هذا المتاع إنما هو إلى أجل مسمى ، وهو أجل الآخرة ، فإذا جاء يوم القيامة حشر الناس كلهم ، المؤمن والكافر ، والظالم والمظلوم ، في صعيد واحد مجتمعين ليقضي الله بينهم يوم الحساب الأكبر .

وهذا معنى قوله عز وجل : (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا)

قال الإمام البغوي رحمه الله :

" (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ) أي : من بعد هلاك فرعون (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ) يعني : أرض مصر والشام .

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ) يعني يوم القيامة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) أي : جميعا إلى موقف القيامة . واللفيف : الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع ، يقال : لفت الجيوش إذا اختلطوا ، وجمع القيامة كذلك ، فيهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر " انتهى.

" معالم التنزيل " (5/135)

وقال الإمام القرطبي رحمه الله :

" (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ) أي : من بعد إغراقه . (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ) أي : أرض الشام ومصر .

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ) أي : القيامة .

(جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) أي : من قبوركم مختلطين من كل موضع ، قد اختلط المؤمن بالكافر ، لا يتعارفون ، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وَحَيِّه .

وقال ابن عباس وقتادة : جئنا بكم جميعا من جهات شتى . والمعنى واحد.

قال الجوهري : واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، يقال: جاء القوم بلفهم ولفيفهم، أي وأخلاطهم.

والمعنى : أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر ، مختلطين لا يتعارفون " انتهى.

" الجامع لأحكام القرآن " (10/338)

وعلى ذلك عامة المفسرين ، أن المقصود بوعد الآخرة : هو يوم القيامة ، وأن معنى " لفيفا " أي : جميعا .

وقد راجعنا عشرات التفاسير المتقدمة فلم نجد أحدا يخالف هذا التفسير ، اللهم إلا رواية ضعيفة عن ابن عباس رضي الله عنهما فيها قصة من الإسرائيليات ، يمكن مراجعتها في "جامع البيان" للإمام الطبري (13/174)

وبهذا يتبين أن استدلال بعض المعاصرين بهذه الآية على اجتماع اليهود في الأرض المقدسة في زماننا هذا ، وأنه من وعد الآخرة – استدلال فيه نظر .

ولم يتبين لنا وجه الاستغراب في أن يقول القرطبي الكلام المنسوب إليه في السؤال ، والذي هو كلامه وكلام غيره من أهل العلم ؛ وليس في ذلك تضليل في الدين ، ولا تشكيك في الشرع .

والله أعلم .